أولا: شبهة الانتحال:

1-الشبهة: يذهب كثير من المستشرقين إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد انتحل القرآن، فهو من تأليفه، ولكنه استعان في قسم كبير منه بغيره؛ أما عن مصادر هذا الانتحال فهم في الحقيقة لم يخرجوا عما اتهمه به المشركون من قبل، وإن كانوا هم أمعنوا في التفصيل ومحاولة إعطاء الأدلة على صدق دعواهم، وتتمثل هذه المصادر التي قالوا بأنه صلى الله عليه وسلم قد أخذ منها في كل من:

أ-رجال دين مسيحيين: وعلى رأسهم بحيرى وورقة بن نوفل.

ب-بعض الموالي والخدم من المسيحيين كسلمان الفارسي رضي الله عنه.

ج-بعض حكماء قريش كقس بن ساعدة.

د-عقائد وديانة العرب في شبه الجزيرة العربية في عصره.

هـ-اليهودية والمسيحية.

و-ديانات الفرس والهند. [1]

2-أقوال المستشرقين التي تحمل شبهة الانتحال: ومن نماذج أقوال المستشرقين في هذا المجال نكتفي بما يأتي:

أ-يقول المستشرق اليهودي الألماني إبراهام جيجر (Abraham Geiger) في كتابه "ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟": "Was hat Mohammed aus Demjudentum auf Genommen ?": «إنّ القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود.» [2]

ب-ويقول المستشرق اليهودي الهولندي فنسك (A.J.Wensinck): «النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في النوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله، وليثبِّت أتباعه القليلين من حوله.» [3]

---

[1]-ينظر: محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 236.

[2]-عبد الراضي محمد عبد المحسن: ماذا يريد الغرب من القرآن؟، 154.

[3]-المرجع نفسه، 156.

ج–ويقول المستشرق سنكلير تسدل () في كتابه "مصادر الإسلام": "": «إنّ شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له، والمنتشرة وقتئذ في الشرق، ألا وهي: اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصابئة، والفارسية، والجاهلية.»[4]

د–ويقول جوستاف لوبون (G.Lebon) في كتابه "حضارة العرب": "" عند حديثه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه: «إنّ محمدا سافر مع عمه إلى سورية مرة، وتعرّف في بُصرى براهب نسطوري في دير نصراني، وتلقى منه علم التوراة.»[5]

هـ–أما الفرنسي مدير المكتبة الوطنية في الجزائر إبان الاستعمار إيميل درمنغم (Emile Dermenghem) فيقول: «وكان الصبي محمد يحب قصص الرجال ومغامرات السياح والأحاديث الغريبة والأساطير القديمة عن الأماكن التي صار يمر منها. (...) ومهما يكن الأمر فإنه كان للشام نفوذ كبير في نفس محمد (...) وهل أخذ الشاب القرشي محمد يقابل بين الروم والعرب، بين التوحيد والوثنية؟ وهل بدأ يفكر في المسائل الدينية التي ستشغل ذهنه وتستولي على حياته؟ وهل صار يشك في معتقدات بيئة صباه الغليظة؟»[6]

ويقول في موضع آخر: «وفي عكاظ كانت تذاع المبادئ الدينية، وفي عكاظ تقابل تعاليم أديان الجزيرة بعضها ببعض، وإلى عكاظ كان يجيء كما يظهر، نصارى من الحيرة ونجران زرفات ووحدانا، وإلى عكاظ جاء الشاب محمد مع أبي بكر ذات يوم فسمعا أسقف نجران الشهير قس بن ساعدة يتكلم. (...) وقد ادّكر محمد بعد طويل زمن قسا وهو راكب جملا أوراق وطلب من أبي بكر أن يذك له ما قاله، وكان ما سمعه من قس في عكاظ من المؤثرات النصرانية الأولى فيه لا ريب.»[7]

و–أما مونتجمري واط: فقد أخذ على نفسه أنه سيتعامل مع القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم، زمن ثمة الإسلام على أساس نظرة وقناعات المسلمين[8]، واستعان في سبيل ذلك بمجموعة من مصادر المسلمين حول دينهم وما يتعلق

---

[4]–محمد أمين بني عامر: المرجع السابق، 206.

[5]–جوستاف لوبون: حضارة العرب، 108.

[6]–إميل درمنغم: الشخصية المحمدية (مصدر سابق)، 52–53.

[7]–المصدر نفسه، 54–55.

[8]–ينظر مثلا: مونتجمري وليام واط: محمد في مكة، (مصدر سابق)، 122.

به، إضافة إلى كتابات استشراقية وغربية طبقت مناهجها على ديانات أخرى غير الإسلام، أو في مجال غير الأديان أصلا[9]، ولكنّ قراءة مثلا كتابه "محمد في مكة" نجد أنه لم يستطع أن يتخلص كلية من خلفيته العقدية والفكرية، وإن كان هو بالمقارنة مع غيره من المستشرقين كالذين تمت الإشارة إليهم في محاضرات سابقة مثلا أكثرهم موضوعية بقدر ما يسرته له خلفيته التي تجعله أحيانا يتوقف أو يعطي تفسيرات حتى للآيات القرآنية الكريمة لا أساس لها بمعنى الآية لا في سياقها ولا في التفاسير التي أوردها العلماء المسلمين[10]، ومن بين الالتباسات التي وقع فيها نذكر ذهابه مثلا إلى أنّ كلمتي اقرأ وقرآن هما كلمتان سريانيتين أدخلتهما المسيحية إلى البلاد العربية، فيقول في هذا الصدد: «تنتمي كلمتا "اقرأ" و"قرآن" إلى مجموعة المفردات الدينية التي أدخلتها المسيحية في شبه الجزيرة العربية، فكلمة قرأ تعني "تلا بوقار نصا مقدسا"، وأما كلمة "قرآن" فهي الكلمة السريانية "كريانا **queryana**" التي تعني "القراءة" أو "درس من الكتاب المقدس".»[11]

هذا، وأما عن أثر أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها، والادعاء بأنها وقريبها ورقة بن نوفل قد ساعدا في توهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يوحى إليه، بل ودورها الكبير في نشر دعوته وتأمين الأتباع له فقد سبق بيانه مع بيار بايلي في المحاضرات السابقة.

3–الرد على شبهة الانتحال: إنّ القول بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد انتحل القرآن والإسلام من محيطه وممن تواصل معهم ينفيه واقع تحليل هذا الواقع وما جاء في القرآن الكريم، وهذا يتجلى لنا فيما يأتي:

أ–الرد على شبهة الانتحال من اليهودية والنصرانية: إنّ أبسط مقارنة بين الكتاب المقدس بشقيه (العهد القديم والجديد) تكشف أنه لا يمكن أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد أخذ القرآن منهما أو حتى استعان بهما للمجيء به، وسنكتفي هنا بنموذجين يثبتان ذلك:

أ–1–عقدي: فالقرآن الكريم يخالف كلية ما جاء في اليهودية والنصرانية من الناحية العقدية، فإذا كانت اليهودية قائمة على التجسيم في تصورها للإله[12]، والنصرانية على القول بالثليث فإن القرآن قد رد على كل هذا، بل ووصف اليهود بسبب ذلك بالمغضوب عليهم وبالكفر، والنصارى بالضالين، ورد على كل عقائدهم بكل تفصيلاتها، فإذا أخذنا العقائد التي رد عليها القرآن عند الفريقين مثلا نجده قد رد ادعاءاتهم كلها بدءا من تصور الإله كادعائهم أنّ المسيح عليه السلام ابن الله، أو أنّ الله هو المسيح ابن مريم أو أنّ المسيح هو الله، وكذا قولهم بالتثليث، وقولهم بصلب المسيح عليه السلام؛ هذا فضلا

[9]–ينظر: المصدر نفسه، 123–125.

[10]–ينظر: المصدر نفسه، 124–125.

[11]–المصدر نفسه، 112.

[12]–ينظر مثلا: سفر التكوين (32: 24–26)، (31: 25–34)، (2: 1–3)، (3: 8–11)، (6: 5–6)؛ سفر صموئيل الثاني (7: 6–8).

عن ادعاء كلا الفريقين بأنهم على دين إبراهيم عليه السلام، أو أنّ الهداية محصورة فيهم، وأنّ الجنة مخصوصة بهم ولا يدخلون الجنة غيرهم، وأنّ كل فريق منهم يرى نفسه أنهم خير فرقة، وأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ وقول النصارى بأنّ لرؤساء الكنيسة حق التشريع[13].

أ-2-جانب القصص: إنّ قصص الأمم السابقة والأنبياء هي أكثر الأشياء المشتركة بين القرآن الكريم والعهد القديم، لكن القيام بالاطلاع على هذه القصص وتحليلها يكشف لنا بأنّ القرآن جاء ليصحح الأخطاء التي وقع فيها أتباع الديانتين السابقتين والتحريفات التي أدخلوها على هذه القصص، ومما يستغرب له حقا أن يدعي المستشرقون ومن ينحون نحوهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أنه نقل هذه القصص عن الديانتين السابقتين وأنّ الاختلاف بين قصص القرآن الكريم وقصص العهد القديم ترجع للأخطاء التي وقع فيها محمد عليه الصلاة والسلام عند النقل أو أنه أخذ من كتب الأبوكريفا غير المعترف بها، في حين نرى مثلا التنزيه التام الذي تميزت بها القصة القرآنية عند تناولها الأنبياء والصالحين مثلا في مقابل الاتهامات والكبائر التي وصموا بها في العهد القديم والتي وصلت حد ارتكاب الكبائر وعلى رأسها الشرك بالله تعالى[14]، بعد هذا كيف يمكنهم اعتبار أنّ القصة القرآنية منقولة ومنتحلة، ومن أين لمحمد الأمي (صلى الله عليه وسلم)، الذي لم يخرج من مكة قبل البعثة إلا مرات معدودة على أصابع اليد الواحدة تاجرا بأموال غيره لا متعلما مثل هذه الصحيحات!!!

ب-الرد على شبهة التعلم من بحيرى وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وسلمان الفارسي: إنّ هذه الدعوى من أغرب الدعاوى التي أطلقها المستشرقون، وإن لم يكونوا أصيلين فيها كلية فقد ذكر لنا القرآن الكريم أنّ مشركي قريش قد اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يكتتب قصص الأولين فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ ﴾ (الفرقان: 5)، ورد عليهم المولى وجل بقوله تبارك وتعالى:﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴾ (النحل: 103)؛ وهذا الرد يصدق على الفريقين (مشركي قريش والمستشرقين)، فورقة بحيرى فضلا عن أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتق الأول إلاّ بعد بعثته ووفاته في أوائل البعثة، ولقائه بالثاني مرة واحدة على مأدبة طعام وفي سن صغيرة، فإنّ كليهما لسانه ليس عربيا، وأما سلمان الفارسي فمعلوم أنه ما اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا لما علم بأنه المذكور في كتب الأولين كما علمه أساتذته

---

[13]-ينظر: إي إروان سنتري دو القواعد الندوي وآخرون: معتقدات النصارى التي عالجها القرآن الكريم وصححها، القرآن رائد النقلة الحضارية للأمة 2013، https://www.academia.edu/9614603/، 2019/11/28، 20سا،30د.

[14]-ينظر مثلا: سفر الخروج (32: 1-5)؛ سفر الملوك الثاني (11: 4-9)، (11: 2-5)؛ سفر التثنية (32: 49-51)؛ سفر الملوك الأول (19: 23-24)؛ أشعيا (2: 2-3)؛ سفر هوشع (1: 2-6)، (3: 1-3).

الأحبار، يبقى قُسّ بن ساعدة فهو وإن كان عربي فصيح إلاّ أنّه توفي قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا فضلا عن أنه لم يثبت أنه التقى به إلا في رواية يشير فيه صلى الله عليه وسلم لإعجابه به وطلب تذكيره بما جاء في خطبته[15].

ج–الرد على شبهة الانتحال من البيئة العربية: أما هذه الشبهة فهي من أوهى الشبه لعدة أسباب، لعل أهمها: لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم بالفعل أخذ من عبادات العرب الجاهلية لما ناصبه أهله العداء، بل على العكس من ذلك فإنّه صلى الله عليه وسلم أعلن الحرب على عقائدهم الضالة، وأما ما احتفظ به في الإسلام وعلى رأسه بعض مكارم الأخلاق فهو مما يتفق عليه العقلاء، فالإسلام لم يأت للتغير بمعنى الحذف الجذري، وإنما جاء ليغير ما هو منكر ويبقي على ما هو خير ويثمنه.

د–الرد على شبهة أن القرآن من تأليفه بعد أن استوعب كل ما تعلمه طيلة الأربعين عاما السابقة على مجيئه بالإسلام: لعل أقوى دليل على أن القرآن ليس من تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم المقارنة بين أسلوبه وأسلوب الحديث النبوي الشريف والأحاديث القدسية، حيث يتميز كل من الثلاثة بأسلوبه الخاص[16] وهو ما يدركه المختصون في اللغويات والأدب، ويعلم كل عاقل أنه من المستحيل أن يكون للشخص الواحد أكثر من أسلوب في التأليف والحديث لدرجة أن المختصين في تحقيق التراث والمخطوطات يثبتون مؤلفات لأصحابها وينفون أخرى عنهم بعدة طرق أهمها الأسلوب.

يضاف إلى هذا أنّ القرآن الكريم حمل في طياته في مرات عديدة عتاب للرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاد لبعض ما قد يقع منه، ومن غير المعقول أن شخصا يبحث عن المكانة العالية واستقطاب الأتباع ويقوم ببيان أخطائه وانتقاد نفسه[17].

ثانيا:شبهة التحريف:

1–الشبهة: لم يكتف المستشرقون بالادعاء بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد استلهم القرآن الكريم من غيره، بل ذهب فريق منهم إلى القول بأنّ القرآن الذي بين أيدينا ليس هو كل القرآن، أو القرآن ذاته الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه تعرض للتحريف بالزيادة والإنقاص بحسب رغبة وأهواء الصحابة رضي الله عنهم، وفيما يأتي نماذج لأقوالهم التي يصرحون أو يلمحون فيها إلى ذلك:

2–أقوال المستشرقين التي تحمل شبهة التحريف:

---

[15]–ينظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، توثيق وتخريج الأحاديث وتعليق: عبد المعطي قلعجي، 101/2 وما بعدها.

[16]–ينظر: محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 218–221.

[17]–المرجع نفسه، 222–223.

أ–ألف المستشرق بول كازانوفا (Paul Casanova) رسالة سماها "محمد ونهاية العالم، دراسة نقدية حول الإسلام الأول (البسيط)" "Mohammed et la fin du monde, étude critique sur l'Islam primitif"، حاول فيها إثبات أنّ القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم ليس هو ذاته الذي أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما خضع للتبديل والتغيير من قبل أصحابه غير الأمناء على حد تعبيره، وذلك التبديل كان إما بالحذف أو الإضافة أو بتغيير مكان الآيات، مستدلا على ذلك بجملة من الأمور نكتفي بالإشارة إلى واحد منها وهو خلو النص القرآني من تحديد من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم، وهو أمر غير معقول بالنسبة له خصوصا وأنّ القرآن جاء شاملا لكل مناحي الحياة: الاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية.[18].

ب–درمنغهم: يذهب درمنغهم إلى أنّ القرآن الكريم «كسائر الكتب المنزلة لم يحرف إلا بعد نزوله بكثير وإنهم حملوا الناس على نسخة واحدة من المصحف وأحرقوا ما عداها وإنّ كثير من الآيات لم يقع فيها الترتيب اللازم، وأنّه لا يعلم بالتمام هل أدخل في القرآن شيء من الحديث النبوي الذي قاله الرسول من نفسه على أنه وحي.»[19]

3–الرد على شبهة التحريف: يكفي للرد على هذه الشبهة القول بأنّ ثورات على الخلفاء المسلمين لعدة أسباب فصلها التاريخ، وقتل عثمان رضي الله عنه سياسيا، ولو أنه بدل حرفا واحدا من القرآن الكريم لما احتاج خصومه لقتله، لأنه حينها سيجمع الصحابة والمسلمون على تكفيره أو أقل شيء الثورة عليه، ولكان التاريخ حمل لنا ذلك، وممن بين عدم تحريف القرآن من المستشرقين أنفسهم وليم موير الذي قال إنّ: «المصحف الذي جمعه عثمان، قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حُفِظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ أي تغير يذكر، بل نستطيع أن نقول أّنه لم يطرأ عليه أي تغير على الإطلاق، في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد

[18]-« On sait que quelques-uns de ses secrétaires étaient fort sujets à caution, que le successeur immédiat du Prophète fit une recension sévère, que, quelques années plus tard, la disposition du texte fut remaniée.» (p3) ; «J'affirme cependant que la doctrine réelle de Mohammed a été, sinon falsifiée, du moins dissimulée avec le plus grand soin. des raisons fort simples que j'exposerai bientôt ont amené Abou Bekr d'abord, Othman ensuite, à remanier de fond en comble le texte sacré, et ce remaniement a été fait avec une habileté telle que, désormais, il parait impossible de reconstituer le Coran primitif.» (p4) ; «Donc si le Coran porte des traces de remaniement, s'il y a des contradictions peu conciliables avec la bonne foi, ce n'est pas Mohammed qui en est coupable; c'est quelque secrétaire peu scrupuleux ou les auteurs des recensions posthumes.» (p6) ; Paule Casanova : Mohammed et la fin du monde : étude critique sur l'Islam primitif.

[19]– محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 272.

لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة المنكوب عثمان الذي مات مقتولا.»[20]

[20]–المرجع نفسه، 288–289.